ملتقى الإمام القرضاوي

مع الأصحاب و التلاميذ



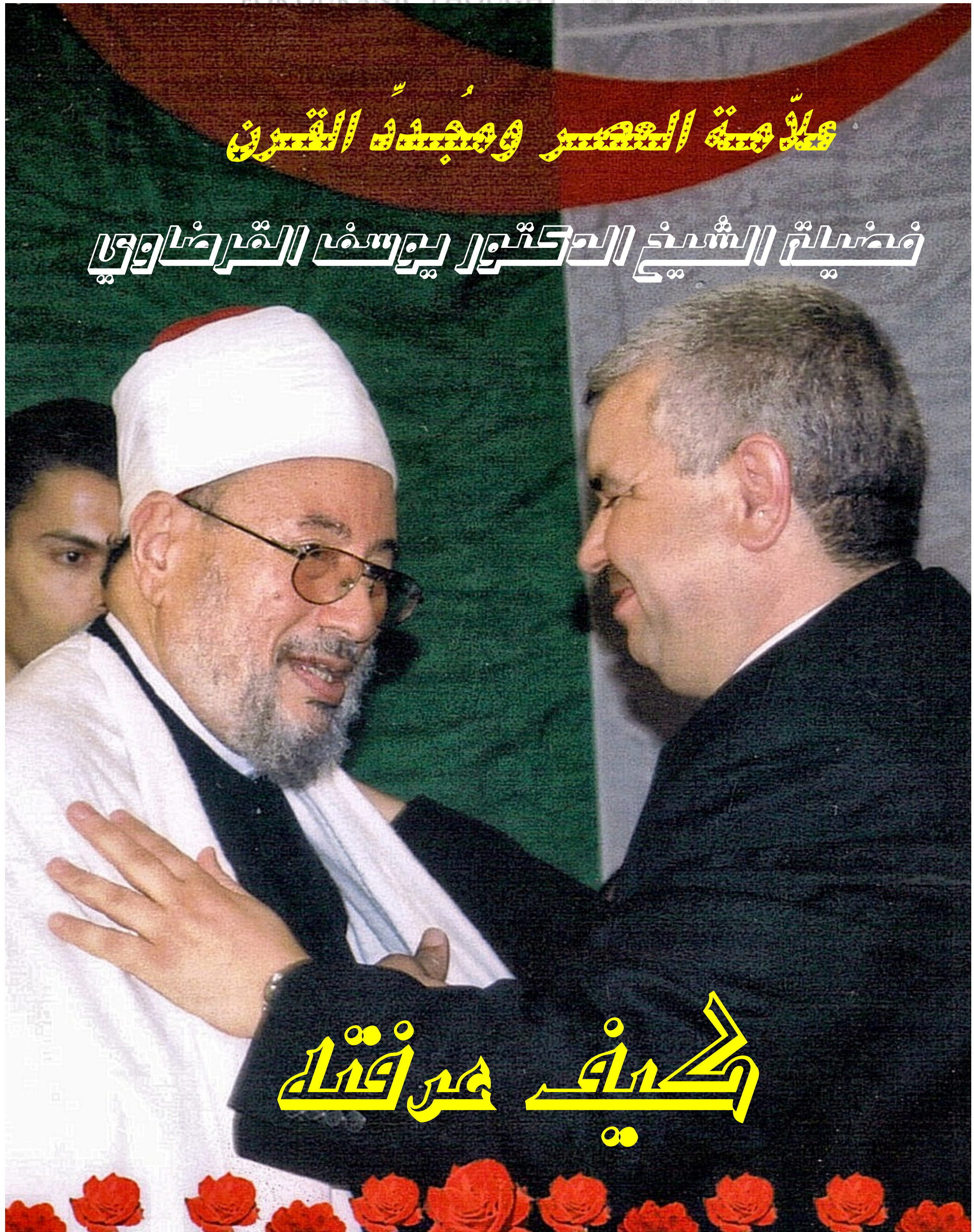
علامة العصر ومجدد القرن

فضيلة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي

محند أويذير صايب

الدوحة - قطر -فندق الريدزكالرتون

٢٩/٦-٢/٧/١٤٢٨هـ ـ ١٤-١٦/٧/٢٠٠٧م



للأستاذ محند أويذير صايب

تيزي وزو – الجزائر

بسم الله الرحمن الرحيم



كم أراني محرجا شديد الحرج, وأنا أمازيغي اللسان أصلاً ، في إيجاد العبارات المناسبة، لأعبِّر عن عظيم سعادتي وابتهاجي، بأن أُكلَّف بكتابة أسطر متواضعة، أتحدث فيها عن أعزِّ مشوارٍ قضيته في حياتي، رفقة علاّمة العصر بدون منازع، ومجدِّد القرن؛

فضيلة العلامة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي

– حفظه الله ورعاه –

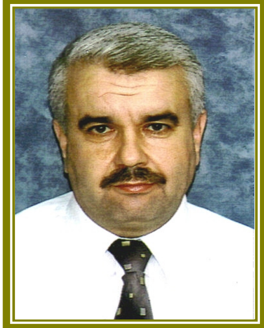
وسأحاول أن أقسم مساهمتي المتواضعة في هذا المحفل العلمي الشامخ والشاهد، إلى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: كيف عرفته عن بعد ؟

المطلب الثاني: كيف عرفته عن قرب؟

المطلب الثالث: مواقف طريفة في مشوار المرافقة.





المطلب الأول:
كيف عرفته عن بعد؟

أ- من خلال كتاباته:

من الأوائل من العلماء الذين قرأت لهم مؤلفًا كاملا، **فضيلة العلامة يوسف القرضاوي**، وأخص بالذكر مؤلفاته الذائعة الصيت في جميع أصقاع العالم، وعلى رأس قائمتها كتابه النفيس "*الحلال والحرام*" الذي نفّس به علينا، نحن شباب الصحوة عن ضيق التشدد، والغلو الذي كان يحدق بنا من كل جانب، وكانت الفتاوى الجريئة التي حواها مُخلِّصا لنا من الوقوع في آتون التطرف والغلو.

كما كنت مع من حولي من شباب الصحوة، كثيرًا ما نعتمد في حلقاتنا العلمية على ما هو متوفر من عناوين إسلامية، من تأليف فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي، منها:

- فقه الزكاة
- العبادة في الإسلام
- سلسلة حتمية الحل الإسلامي

ب- من خلال مداخلاته في التلفزيون الجزائري:

كان ذلك في صيف ١٩٨٢، بمناسبة انعقاد ملتقى الفكر الإسلامي، بمدينة تلمسان غرب الجزائر، والذي تناول بالبحث والنقاش موضوع السنة النبوية؛ وحضرها لأول مرة جمع من علماء الأمة الإسلامية، وعلى رأسهم **فضيلة العلامة يوسف القرضاوي**.

وكانت الفرصة أيضا مواتية لاستضافته في برامج تلفزيونية، خُصصت لموضوعات مختلفة في الفكر الإسلامي؛ وقد أعجب الجمهور الجزائري بكل التدخلات العلمية التي كان بحق نجمها بلا منازع، و اكتشف فيه عموم الشعب ما افتقده من عقود إلى أنموذج من العلماء الذين جمعوا بين فقه الشريعة، وفقه العصر؛ فما لبث أن تأثر وتعلق به شديد التعلق، وازدادت مؤلفاته وأشرطته رواجا واسعا، و أضحى مرجعية لا تتجاوز في كل مسائل الاجتهاد و الفكر.

ج- من خلال حضوره في الملتقيات:

لقد دأبت الجزائر على تنظيم ملتقى فكري إسلامي منذ مطلع السبعينيات، يُدعى لها عدد معتبر من العلماء والباحثين والأساتذة الجامعيين، من جميع قارات العالم، و ذلك لبحث موضوعات علمية، وما لبث أن تحول إلى جامعة متنقلة، يلتقي فيها العلماء والأساتذة بالطلبة والطالبات، لمدة لا تقل عن أسبوع كامل، حافل بالنشاط العلمي الهادف، وكان من أبرز- حتى لا أقول أبرز محرّك لها- **فضيلة العلامة الدكتور يوسف القرضاوي**.

فمند ملتقى السنة في تلمسان سنة ١٩٨٢، إلى غاية ملتقى الاقتصاد الإسلامي نهاية ١٩٩٠، كانت مشاركات **العلامة يوسف القرضاوي** محل اهتمام ومتابعة وحرص من كل الحضور، سواء أثناء أشغال الملتقيات، أو أثناء الندوات الليلية، التي كانت تنعقد في الأحياء الجامعية خصيصا للطلبة والطالبات؛ ومن بين الطالبات البارزات والناشطات، الأستاذة **أسماء بن قادة**[*]، فكان فضيلة العلامة نجمها اللامع، وكوكبها الساطع، وكانت أحيانا تستمر إلى أوقات متأخرة من الليل.

و أول ملتقى تمكنتُ فيه من السماع، والتلقي المباشر من العلامة - **حفظه الله** – هو **ملتقى قسنطينة**، الذي انعقد في بداية شهر يوليو بقسنطينة، مدينة **العلامة عبد الحميد بن باديس** مؤسس ورئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

---

[*] زوجة العلامة لاحقا

و خُصّص موضوعه للاجتهاد في الشريعة الإسلامية؛ ولست أبالغ في شيء إن قلت أن العلامة كان قطب هذا الملتقى، وكانت مداخلاته محل تفاعل كبير من طرف الحضور المتميز، بل تعدّى ذلك، فكان يُطلب بإلحاح في كل مرة، ولو أن ترتيب اسمه في جدول طلبات التدخل كان يدرج في المؤخرة، لأن اسمه يبدأ بحرف الياء، وكثيرا ما شكى العلامة بمزاح هذا الترتيب المجحف.

و مما يستوجب أن يُذكر، تلكم **الجمعة** المشهودة، التي عاشها **الجامع الأخضر** بقسنطينة والذي اُختير قصدًا من معالي وزير الشؤون الدينية الأسبق، **فضيلة الشيخ عبد الرحمن شيبان** آنذاك، والرئيس الحالي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، واختير ليلقي فيه درس الجمعة **فضيلة العلامة يوسف القرضاوي**، وللتذكير فإن ذات المسجد كان بمثابة القلعة العلمية الحصينة لجمعية العلماء المسلمين، ورئيسها وإمامها فضيلة الشيخ الإمام عبد الحميد ابن باديس.

ومن المشاهد التي لا تُنسى في ذلك اليوم، ذلكم التجمهر الذي وقع حول **فندق سيرتا** بوسط قسنطينة، من قبل جمهور غفير من الطلبة والمصلين، وهذا للتأكد من وجهة الشيخ في الجمعة، وما فتأت أن تحولت إلى شبه مظاهرة، قادها الشيخ لدى مغادرته للفندق، وقد فضّل الالتحاق بالجامع الأخضر مشيا على الأقدام لقرب المسافة، وكانت بحق جمعة مشهودة، لكثافة الحضور الذين بلغ عددهم الآلاف✯، ولم يسعهم المسجد، ولا الساحات المحيطة به، و قد ألقى فضيلة العلامة درسا رائعًا مؤثرا، تناول فيه جهود جمعية العلماء، وعلى رأسها **العلامة عبد الحميد بن باديس** في الحفاظ على الهوية الإسلامية للجزائر، وكثيرا ما تجاوب معه جمهور المصليين بصيحات التكبير والتهليل، وذلك لما لم يعهدوه من متانة في الأسلوب، وقوة في الإلقاء، وصدق في التفاعل، وإحاطة واسعة وشاملة بالموضوع.

✯ وقد شهد مسجد الخلفاء الراشدين بالأبيار بالجزائر العاصمة في نهاية الثمانينيات، ومسجد أبو عبيدة بن الجراح بابن جراح عددا أكثر كثافة.

وكما كانت إقامات الطلبة والطالبات بقسنطينة فضاء رحبا، لإرساء مدرسة الوسطية والاعتدال، التي حفظت للجزائر توازنها، وعدم رجحانها وسقوطها في جحيم التطرف والغلو، والعنف الأعمى.

المطلب الثاني: *كيف عرفته عن قرب ؟*

ومن أجل النعم التي حباني الله بها, أني كنت محل ثقة، وحسن ظن مسؤولي وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، وعلى رأسهم **البروفيسور الدكتور سعيد شيبان، والأستاذ عبد الوهاب حمودة،** حين كلفاني بتولي شؤون **العلامة يوسف القرضاوي** طيلة إقامته بالجزائر، ابتداء من سبتمبر ١٩٩٠، في إطار مهمة استخلاف **العلامة الراحل محمد الغزالي**- قدس الله سره – في رئاسة المجلس العلمي للجامعة الإسلامية بقسنطينة، و مع إقامته بالجزائر العاصمة للقيام بأنشطة علمية أخرى في كلية أصول الدين، ومساجد العاصمة.

وبعد مباركة وموافقة العلامة لمرافقتي إياه، تم ضبط برنامج النشاط، الذي كان يحتوي على الفقرات الآتية:

١- الإشراف العلمي دوريًا على جلسات المجلس العلمي لجامعة الأمير عبد القادر الإسلامية بقسنطينة.

٢- المشاركة في مناقشة بعض الرسائل العلمية "**ماجستير و دكتوراه**" على مستوى الجامعة الإسلامية، وكلية أصول الدين بجامعة الجزائر.

٣- المشاركة بمحاضرات علمية متخصصة دوريًا، خاصة ببعض المقررات، على مستوى كلية أصول الدين بجامعة الجزائر، والجامعة الإسلامية بقسنطينة.

٤- إلقاء محاضرات ودروس وخطب، في مختلف الجامعات والمراكز العلمية والثقافية والمساجد.

٥- المساهمة في النشاط الإعلامي الديني، خاصة في التلفزيون، وذلك باستحداث برنامج تلفزيوني خاص يُعنى بالفتاوى، يُعِدّها ويقدمها فضيلة الشيخ، على غرار ما كان يقدمه في تلفزيون قطر بعنوان "**هدى الإسلام**".

وفي أول خرجة للعلامة القرضاوي بالجزائر، تم اختيار المسجد الكبير للعاصمة، كمنطلق للأنشطة العلمية، ووقع الاختيار على يوم **الثلاثاء**✮ لانطلاق سلسلة دروس التفسير، التي استقطبت جمهورًا معتبرًا من مواطني هذا الحي العاصمي، المجاور لساحة الشهداء، والأحياء المجاورة له من ضواحي العاصمة.

وكما اُختير أن تكون **سورة يوسف** – عليه السلام – **محورًا** لهذه السلسلة العلمية المفيدة، وكنت من ضمن من استشارهم فضيلة الشيخ في اختيار الموضوع, وقد وقع الاختيار لهذه السورة لسببين اثنين:

- **أولهما:** لاحتواء هذه السورة على مجموعة من أحسن قصص القرآن الكريم، وجملة من المعاني التي يتأكد الانتفاع، والاستفادة من حضورها، ومتابعتها.

- **ثانيهما:** حري بالعلامة يوسف القرضاوي أن نختار له سورة لملازمته الاسم على المسمى والمعني على المعنى.

و كما بُرمجت لفضيلة الشيخ محاضرة علمية أسبوعية في كلية أصول الدين، التابعة لجامعة الجزائر، لطلبة السنة الرابعة ،تخصص فقه وأصوله، وكان موضوعها **الاجتهاد في الشريعة الإسلامية.**

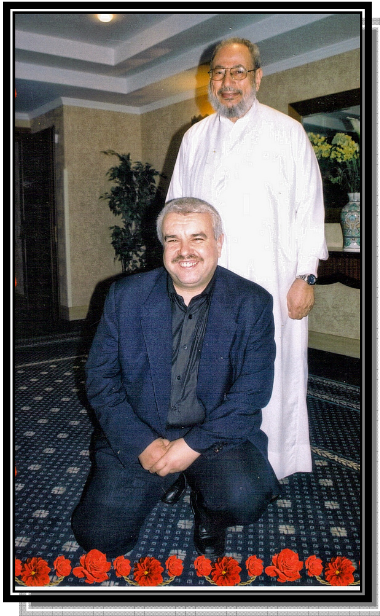
و مما يذكر، أنه لكثرة الطلبة الحاضرين، تم نقل مكان إلقاء المحاضرة من داخل الجامعة المركزية للعاصمة، إلى قاعة كبيرة واسعة، تقع بجوار الجامعة، لتحتوي الكم الهائل للحضور حتى من خارج الجامعة.

وقد لقيت سلسلة هذه المحاضرات قبولا واستحسانا، كما كانت فرصة لطرح أسئلة خارج الموضوع؛ واعتُبر ذلك بمثابة برنامج إضافي لما كان يتناوله فضيلة الشيخ في برنامجه التلفزيوني السالف الإشارة إليه.

✮ تيمنا بحديث الثلاثاء للإمام الشهيد حسن البنا

وفي خضم هذا البرنامج الثري، من حيث النشاط العلمي الذي توسع ليشمل حتى المؤسسات الجامعية، والكليات المختلفة، فكانت تتهاطل الدعوات من كل أنحاء البلاد، وتم تلبية بعضها والاعتذار للباقي.

ومن المواقف المشهودة والنادرة لفضيلة العلامة يوسف القرضاوي، في كلية الآدب بجامعة الجزائر، أثناء إلقائه لمحاضرة بمناسبة الذكرى الحادية والأربعين لاستشهاد الإمام حسن البنا، لاحظ الجميع شدة تأثره، وانفعاله العاطفي، إلى درجة ذرف الدموع، وراح يردد استعداده ليفدي دعوة الإسلام برقبته، وروحه، وما يملك في هذا الوجود جميعا.



المطلب الثالث:

مواقف طريفة في مشوار المرافقة

وحتى لا أُفوّت فرصة سرد بعض تفاصيل مشوار المرافقة، لا أنسى أن أذكر بعض المواقف الطريفة، التي حدثت أثناء هذه المدة، التي امتدت نصف سنة تقريبا، وأكتفي فيها بذكر ما لا يزال عالقا في الذاكرة، يصعب نسيانه أو تناسيه، و من هذه المواقف ما يلي:

أ – غفلة فيدوح المشؤومة:

تزامن حلول **العلامة يوسف القرضاوي** بالجزائر مع اللمسات الأخيرة التي كان بصدد قيامه بها، لاستصدار مؤلفه القديم "**المدخل إلى دراسة الشريعة الإسلامية**" في حلة جديدة، وبعد جهد جهيد أتم شيخنا الفاضل آخر الفصول، وكان الأمر يستدعي إرسال هذا الجزء من المؤلف إلى القاهرة عاجلا، و قد تم الاستعانة في تحقيق المراد، بالأستاذ الراحل المغتال غدرا، **لحسن بن سعد الله**، رئيس تحرير **مجلة الإرشاد الإسلامية**، بوصفه طالبا سابقا بالقاهرة، ولعلاقاته الوطيدة ببقية طلبة الجزائر في جامعات القاهرة، وقد اختار لهذه المهمة **الأستاذ فيدوح**، وكلفه بإيصال هذه الفصول إلى صاحب مطبعة خاصة يسمى **الحاج وهبة**؛ ولكن، واأسفاه، فالمعني بمجرد وصوله إلى القاهرة نسي إيصال الأمانة إلى أهلها، وبقيت في حوزته وهو ناس لها، مما أثار انزعاج **فضيلة الشيخ القرضاوي**، وراح يعاتبني بشدة على إساءة اختيار الرسول، وقد اضطررنا إلى إحداث عملية طوارئ في نادي طلبة الجزائر في

القاهرة، وتم اللجوء إلى استعمال لافتات كبيرة كتب عليها " **المطلوب فيدوح** " وقد أثار ذلك انتباهه، وقد فاق من غفلته، وانتبه لتقصيره، وسلّم الأمانة بعد تقديم اعتذار للحاج وهبة.

ب- رحلة شفة المثيرة:

بمناسبة قدوم وزيارة نجل **فضيلة الشيخ الأستاذ محمد يوسف القرضاوي** للجزائر، تم برمجة رحلة سياحية إلى مدينة البليدة جنوب العاصمة، وبعد زيارة أعالي هذه المدينة، وبالضبط منطقة الشريعة، المعروفة بمناظرها الساحرة، وموقعها المتميز على سفوح الجبال المطلة على العاصمة؛ وبعفوية تم برمجة محطة ثانية تشتهر بوجود مجموعة من القردة فيها، تسمى منطقة الشفة، ولكن خابت الظنون، وكاد أن يحدث ما لم يكن في الحسبان، فكأنه هناك من أَمَرَ هذه الجموع من القردة بالانسحاب من حافة الطريق كما جرت العادة, وهذا الموقف دفع فضيلة الشيخ إلى عتابي مجددًا، وراح يردّد: "يعني إيه يا الأخ صايب, فلم نجد ولا قردًا واحدًا، ما معنى هذا ؟".

فلم أجد إجابة لهذا الموقف الحرج إلاّ أن تضرعت لله أن لا يخيبني في طريق عودتنا, وقد استجاب الله لدعائي، ففي طريق عودتنا وجدنا هذه الجموع مصطفة على قارعة الطريق، وكأنها استجابت لأمر ثان بالعودة إلى مواقعها العادية, ورُفع الحرج، فحمدت الله أن خلصني منه عاجلا.

ج – المسمار الذي عطّل برنامجا:

في إحدى رحلات العلامة لقسنطينة, تم وضع برنامج ثري من محاضرات في الجامعة، ودروس علمية خارجها, وتصادف دخول فضيلة الشيخ إلى قاعة المحاضرات وجود مسمار في إطار الباب الرئيسي للقاعة, ولم ينتبه له، وتسبب في تمزيق القميص الأزهري لفضيلة الشيخ, مما دفع بالمنظمين إلى إلغاء كافة الأنشطة لبقية اليوم؛ واتصل فضيلة الشيخ بي فورًا وأشار عليَّ بضرورة إرسال قميص ثان إلى قسنطينة على وجه السرعة، واستجابة لطلبه انتقلت إلى الفندق وأحضرت المطلوب إلى مطار الجزائر، وقصدت جناح الرحلات الداخلية المتجهة نحو قسنطينة، وبعفوية مطلقة وقع اختياري على شخص توسمت فيه خيرًا، وكلفته بإيصال القميص إلى فضيلة الشيخ، وتقبل التكليف بصدر رحب، بل اعتبره

شرفًا يُحضى به، وأَوْصَل القميصَ إلى الفندق* الذي يقيم فيه فضيلة الشيخ قُبيل صلاة العشاء, والحمد لله على التوفيق.

د- المهابة التي نفرّت الجميع :

كما كان مقررًا بعد فراغ **فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي** من إلقاء المقرر العلمي **لمادة الاجتهاد**، لطلبة السنة الرابعة، في كلية الشريعة، بجامعة الجزائر, أودع فضيلته عندي سؤال الامتحان، لأبلغه لإدارة الكلية, وقد لحظت أن وضع سؤال واحد على غير المعهود في أنماط الامتحانات في هذه الكلية التي كانت تعتمد على طريقة طرح سؤالين والإجابة على واحد منهما على الخيار، وبعد مراجعته تكرم فضيلة الشيخ بوضع سؤال ثان، تماشيا مع الأنماط المعمول بها, والأمر طبيعي لحد الآن، ولكن الغريب أن إدارة الكلية عجزت فيما بعد أن تجد أستاذًا يصحح أوراق الإجابة التي تعد بالمئات, وبعد أخذ ورد، وحتى لا يحرم الطلبة من ثمرة مجهودهم, توليت التصحيح، بناء على مقياس تم اعتماده بالتنسيق مع الإدارة, وبحمد اللّه, لم يسجل أي طعن في النتائج، وكفى اللّه الطلبة مشقة المهابة وتبعاتها .

وفي الختام؛ مما يجدُر الإشارة إليه في نهاية هذا السرد المتواضع لهذا المشوار، والذي تم في مرحلة حساسة من تاريخ الأمة العربية والإسلامية, وقد جاء عقب غزو العراق للكويت، وما استتبع ذلك من مواقف سياسية، يصعب معها تسجيل بصمات أوضح في الحياة العلمية، لبلد كالجزائر، وحساسية شعبه، لكل ما له علاقة بالاستعمار الغربي الغاشم، أيا كان صنفه، أو سبب مجيئه، أو قدومه للمنطقة.

ومما يمكن تسجيله وبدون مبالغة، أن نشاط **فضيلة العلامة يوسف القرضاوي** ترك في نفوس الشعب الجزائري الأثر الطيب، المكمل لأثر **الإمام الراحل*** **محمد الغزالي** – رحمه اللّه – وقد ساهم في استكمال بناء مدرسة الوسطية والاعتدال، التي أصبح لها أتباع، لا يعدون ولا يحصون في ربوع هذا الوطن العزيز من العالم العربي والإسلامي، وأستسمح الحضور، وعلى رأسهم **مولاي وولي نعمتي فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي** على أي تقصير أو تجاوز وارد، في هذه الإفادة المتواضعة، ويشفع لي فيها

---

* فندق الأوراسي، حيث يقيم فضيلة الشيخ عادة في العاصمة

* كما يحلو للجزائريين تسميته، تيمنا بالإمام محمد عبده

حرصي الشديد على حضور هذا المحفل العلمي، ومشاركة أصحاب الفضيلة علماء الأمة وأساتذتها في هذا التكريم المشهود، الذي سيبقى مختوما بأحرف من ذهب، عرفانا وتقديرا واعترافا بما قدّمه علاّمة العصر، ومُجدّد القرن الجديد، للأمة الإسلامية جمعاء.

فالله أسأل أن يحفظه ذخرا للإسلام والمسلمين – آمين –.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الأستاذ محند أويذير صايب
تيزي وزو – الجزائر